تعليقات فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

على كتاب

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

للإمام ابن القيم رحمه الله

«الشريط الثامن عشر»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

المتن: قال المؤلف رحمه الله: قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]

الشيخ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين وصلى اللهم وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد،

فإن العبادة مبنيه على المحبة، فالمحبة هي أعظم أنواع العبادة، وهذه المحبة إن كانت محبه لله كمحبه المؤمنين لله فهي محبه محمودة وعليها أجر وثواب فلا أحد أحب إلى المؤمنين من الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا يبذلون أنفسهم وأموالهم في طاعه الله عزوجل يجاهدون في سبيله وينفقون أموالهم في طاعه الله عز وجل سبحانه وتعالى.

ويتبع محبه الله محبه رسوله ﷺ بل الرسل والأنبياء كلهم، ثم محبة أصحاب رسول الله ﷺ، ثم محبة بقية المؤمنين، وهذا هو الحب في الله، وهو أوثق عرى الإيمان كما في الحديث «أوثقَ عُرَى الإيمانِ الحبُّ في اللهِ والبُغضُ في اللهِ»، يحبون ما يحبه الله من الأعمال والأقوال، فهذه محبه الله سبحانه وتعالى، المشركون ما عبدوا الأصنام والأحجار والأشجار إلا أنهم يحبونها محبة عباده؛ ولو لم يكونوا يحبونها ما عبدوها ولا دافعوا عنها فهم يحبون أصنامهم وأوثانهم محبة شديدة وقوله تعالي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ﴾ أي أنهم يحبون الأنداد كما يحبون الله سبحانه وتعالى، كحب الله، هذا تفسير للآيه.

والتفسير الثاني: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ ؛ يحبون الله ويحبون معه غيره من الأصنام والأشجاروالأحجار التي يعبدونها فيشركون في المحبة مع الله سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ

﴿ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ أي أشد حبا لله من المشركين لله؛ لأن محبة المؤمنين خالصة ومحبة المشركين مشتركة بين الله وبين غيره؛ ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ عزَّ وجلّ من محبة المشركين لله.

فعلى التفسير الأول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ من محبة المشركين لأصنامهم.

والتفسير الثاني: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ من محبه المشركين لله؛ لأن محبتهم خالصة ومحبه المشركين مشتركة، فيها شرك.

وعلى كل حال الآية فيها تفسيران ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾

المتن: وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام: ١]

الشيخ: إفتتح الله سورة الأنعام بقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ هذه نعم من الله عز وجل، خلق السماوات والأرض نعمة من الله على عباده، وجعله الظلمات والنور.

النور مفرد، والظلمات متعددة، فالظلمات كثيرة ومختلفة؛ وأما النور فهو شئ واحد مثل الصراط، صراط الله واحد، وغيره من الطرق كثيرة و﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[الأنعام: ١٥٣]، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ في السماوات والأرض؛ وكذلك الظلمات والنور، نور الإيمان في قلوب المؤمنين؛ وظلمات الشرك والكفر في قلوب الكفار والمشركين.

ظلمات ونور حسية، وظلمات ونور معنوية؛ الله هو الذي خلقها سبحانه وتعالى فيُحمد عليها؛ ثم قال ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ أي يعدلون معه

غيره، ويجعلونه عديلا لله، فيجعلون الأصنام عديلة لله، ومساويه لله عز وجل ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ به غيره من الأصنام وغيرها مع أن الله لا عِدل له ولا مثيل ولا شبيه له.

المتن: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ أي: يجعلون له عِدلا في العبادة والمحبة والتعظيم وهذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وبين آلهتهم.

الشيخ: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧ – ٩٨]

يقولون هذا اذا دخلوا النار هم ومعبوداتهم، يقولون لمعبوداتهم ﴿تَاللَّهِ﴾ هذا قسم، ﴿تَاللَّهِ﴾ أي والله، ﴿إِنْ كُنَّا﴾ إن كنا في الدنيا ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٩٨﴾ نجعلكم مساويين لرب العالمين في العبادة.

المتن: وهذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وبين آلهتهم وعرفوا في النار أنها كانت ضلالا وباطلا، فيقولوا لآلهتهم وهم في النار معهم ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٩٨﴾.

الشيخ: هذا من باب التحسر والعياذ بالله يتحسرون على ما حصل منهم.

المتن: ومعلوم أنهم ما سووهم به في الذات والصفات والأفعال.

الشيخ: سووهم به في العبادة والمحبة، ما سووهم به في أنهم يخلقون ويرزقون ويدبرون؛ هم يعترفون أن هذا لله وحده؛ ولكنهم سووهم به في العبادة والمحبة.

المتن: ومعلوم أنهم ما سووهم به في الذات والصفات والأفعال، ولا قالوا إن آلهتهم خلقت السماوات والأرض؛ وإنها تحي وتميت؛ وإنما سووها به في محبتهم لها

وتعظيمهم لها، وعبادتهم إياها؛ كما ترى عليه أهل الإشتراك ممن ينتسبوا إلى الإسلام.

الشيخ: نعم، من ينتسبون إلى الإسلام ويشركون بالله عبادة الأولياء والصالحين من القبورية ووغيرهم؛ هم ما اعتقدوا في هؤلاء أنهم يخلقون ويرزقون ويدبرون الأمر؛ وإنما سووهم بالله في المحبة والعبادة.

المتن: ومن العجب أنهم ينسبون أهل التوحيد إلى التنقص بالمشايخ والأنبياء والصالحين.

الشيخ: إي نعم، هم يقولون إذا أنكر أهل التوحيد عليهم الشرك، قالوا أنتم تنقصتم الأولياء والصالحين، ويعتبرون هذا عيبا في أهل التوحيد أنهم يتنقصون الأولياء والصالحين؛ ولهذا لا يشركونهم مع الله عز وجل، ولا ينظرون إلى أنهم تنقصوا الله، يقولون تنقصتم الأولياء والصالحين، ولا ينظرون أنهم هم تنقصوا الله عز وجلّ؛ فهذا من العجائب، يتنقصون الله عز وجل، ويتهمون المؤمنين بأنهم يتنقصون الأولياء والصالحين لأنهم أنكروا عبادتهم مع الله؟!.

هذا من العجائب ومن التناقض فأيهما أشد؟ تنقص الله عز وجل؛ أم تنقص المخلوق؟

مع أن الموحدين ما تنقصوا الأولياء والصالحين؛ بل يحبونهم ويقتدون بهم ما تنقصوهم؛ لكنهم ما رفعوهم فوق منزلتهم وأعطوهم حق الله سبحانه وتعالى؛ فهذا من العجائب التي لا تنقضي.

المتن: ومن العجب أنهم ينسبون أهل التوحيد إلى التنقص بالمشايخ والأنبياء والصالحين وما ذنبهم إلا أن قالوا إنهم عبيد؟!

الشيخ: إلا أن الأولياء والصالحين عبيد، هم يقولون لا ما هم بعبيد، هم أولياء وصالحين، ولهم اتصال بالله، ويشفعون لنا، ويقضون حوائجنا، وما أشبه ذلك من الخرافات.

المتن: وما ذنبهم إلا أن قالوا إنهم عبيد، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرًا ولا نفعًا.

الشيخ: نعم هم عبيد ضعفاء، الأولياء والصالحون عبيد ضعفاء، لا يملكون لأنفسهم فضلا عن أن يملكوا لغيرهم ضرا ولا نفعا؛ بل إنهم ميتون وانتهت أعمالهم، إنقطعت أعمالهم، ههم ميتون بحاجه إلى من يدعو لهم، ويستغفر لهم، هم بحاجه إلى هذا، فليسوا يقدرون على شئ، حتى ما كانوا يقدرون عليه في الدنيا انقطع، صاروا ما يقدرون على شئ؛ ولكن أين العقول والمدارك والإيمان.

يُقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

المتن: وما ذنبهم إلا أن قالوا إنهم عبيد، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

الشيخ: خصوصا الأموات منهم ما يملكون شيء، إنقطعت أعمالهم فهم بحاجه لمن يهدي إليهم شيئا من ثواب الطاعات مثل الصدقة، مثل الحج والعمرة، مثل الدعاء لهم، والاستغفار لهم، بحاجة إلى هذا.

المتن : لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

الشيخ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾[الفرقان: ٣].

المتن: وإنهم لا يشفعون لعابديهم أبدًا، فقد حرم الله شفاعتهم لهم.

الشيخ: حتى الشفاعه، الشفاعه حق ثابتة؛ لكنها لابد لها من شرطين :

١- إن تكون بإذن الله، يأذن الله للشافع أن يشفع.

٢- وأن تكون في أهل التوحيد، في عصاه الموحدين ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وهم أهل التوحيد، إذا كان عندهم ذنوب أوسيئات دون الشرك فإنهم تنفعهم الشفاعة بإذن الله، وأما المشركون فليس فيهم شفاعة ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ١٨]، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، وقال في آخر سوره القيامة: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ يسألونهم ما الذي أدخلهم النار؟ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ يعني ما نؤدي الزكاة ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ من غير دليل ومن غير برهان، ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ جرائم عظيمه، قال الله جلَّ وعلا: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾، فالذين يدعون الموتى ويستغيثون بهم مشركون، وهم يقولون يشفعون لنا ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] هم لا يشفعون لهم؛ لأن هؤلاء مشركون، ما يشفعون للمشرك، الذي يدعو غير الله، ويذبح لغير الله، وينذر لغير الله هذا مشرك ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ لأن الشفاعه لأهل التوحيد خاصه ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾، ﴿*وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦] .

شرطين:

- يأذن الله لمن يشاء هذا شرط
- ويرضى يعني عن المشفوع فيه، وهو لا يرضى عن المشركين.

المتن: وإنهم لا يشفعون لعابديهم أبدا؛ بل قد حرم الله شفاعتهم لهم، ولا يشفعون لأهل التوحيد إلا بعد إذن الله لهم في الشفاعة.

الشيخ: إي نعم، إلا بالشرطين:

- أن يأذن الله لهم بالشفاعة.
- وأن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد، أما المشرك فلا تنفعه الشفاعة.

المتن: فليس لهم من الأمر شيء؛ بل الأمر كله لله.

الشيخ: وهؤلاء الأولياء والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، الأمر كله لله سبحانه وتعالى، حتى الرسول ﷺ قال الله له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] الأمر كله لله سبحانه وتعالى، هم يقولون لا، لهم أمر، ويتصرفون في الكون، ويعملون كذا، هذا باطل كله، الرسول ﷺ قال الله له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، ويقول ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝٢٢﴾ [الجن: ٢١ – ٢٢]، هكذا أمر الله رسوله أن يقول للمشركين ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فإذا كان الرسول ﷺ لا يملك شيئا فكيف بغيره من هؤلاء الأولياء والصالحين الذين يزعمون أنهم بيدهم الأمر، وأنهم يتصرفون مع الله عز وجل.

المتن: بل الأمر كله لله، والشفاعة كلها له سبحانه.

الشيخ: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، الشفاعة كلها لله، ما لأحد فيها شيء إلا بعد إذن الله عز وجل.

المتن: والشفاعة كلها له سبحانه، والولاية له، فليس لخلقه من دونه ولي ولا شفيع.

الشيخ: الولاية: وهي المحبة والنصرة والتأييد، كلها لله عز وجل ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤]، فلا يكون وليا إلا من جعل الله له الولاية.

المتن: فالشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله.

الشيخ: **الشرك**: هو عبادة غير الله مع الله، عبادة غيره معه.

أما التعطيل: فهو الإلحاد، الذي لا يقر بالله، مثل الدهريين، هذا يسمى تعطيل، تعطيل للربوبية، ويقولون هي الطبيعة، ما نرى غير الطبيعة، ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]،هذا هو الإلحاد والعياذ بالله، وهذا هو التعطيل؛ لأنهم عطلوا الكون من خالقه سبحانه وتعالى.

المتن: فالشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله

الشيخ: أساءوا الظن بالله فأشركوا وعطلوا.

المتن: ولهذا قال إمام الحنفاء عليه السلام.

الشيخ: هو إبراهيم عليه السلام، إمام الحنفاء: أي إمام الموحدين.

المتن: ولهذا قال أمام الحنفاء عليه السلام لخصمائه من المشركين: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٨٧﴾ [الصافات: ٨٦ – ٨٧].

الشيخ: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ وتعبدون، هذا سوء ظن برب العالمين، فالمشرك يسيء الظن بالله عز وجل، ولو أحسن الظن بالله ما أشرك، والله جل وعلا يقول لأهل النار: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٣]، هم ظنوا بالله ظن السوء.

المتن: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

الشيخ؛ :الاستنكار يعني، ما هو هذا الظن الذي ظننتم برب العالمين وتنقصتموه حتى أشركتم به؟ ظننتم بالله غير الحق.

المتن: وإن كان المعنى: ما ظنكم به أن يعاملكم ويجازيكم به، وقد عبدتم معه غيره، وجعلتم له ندا؟

الشيخ: يعني سواء فُسر الظن برب العالمين:

- بأنه سوء الظن بالله، وأنه لا يقدر ولا يرحم ولا يُنعم.
- أو سوء الظن بالله عز وجل على المعنى الثاني: يكون هذا استفهام،﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ أن يفعل بكم وقد أشركتم به وكفرتم به

المتن: وإن كان المعنى ما ظنكم به أن يعاملكم ويجازيكم به، وقد عبدتم معه غيره وجعلتم له ندا، فأنت تجد تحت هذا التهديد ما ظننتم بربكم من السوء حتى عبدتم معه غيره، فإن المشرك إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو عون، وهذا أعظم التنقيص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته، وكل ما سواه فقير إليه بذاته، وإما أن يظن أنه سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشريك.

الشيخ: يظنون أن الله ما يقدر إلا إذا أعانه أحد وهذا سوء ظن برب العالمين.

المتن: وإما أن يظن بأنه لا يعلم.

الشيخ: أو يظن أنه لا يعلم الغيب، ولا يعلم أعمال عباده، وهذا سوء ظن أيضا؛ فسوء الظن يتنوع.

المتن: وإما أن يظن بأنه لا يعلم حتى يُعلمه الواسطة.

الشيخ: إي نعم، ولذلك اتخذوا الوسائط، يُعلمون الله عن حوائج عباده؛ فهذا سوء ظن بالله، أنه لا يعلم حوائج عباده، ولا يقدر على إعانتهم، هذا سوء ظن بالله عز وجل؛ ولذلك لما ظنوا أنه ما يعلم حوائجهم جعلوا وسائط يُذكِّرون الله، ويُخبرونه عن حوائج عباده؛ كما يكون ذلك عند ملوك الدنيا، ملوك الدنيا لا يعلمون عن حوائج الرعية حتى يُبلغوا عنها، وأما الله جل وعلا فإنه يعلم حوائج عباده، فلا يحتاج إلى من يخبره بذلك.

المتن: وإما أن يظن بأنه لا يعلم حتى يُعلمه الواسطة، أو لا يرحم حتى تجعله الواسطة يرحم.

الشيخ: نعم، أو يظن أن الله لا يرحم حتى يجيه واسطه يؤثر عليه مثل ما عند الملوك، يؤثر عليهم، ويتكلم معهم، ورققهم بالمواعظ، الله جل وعلا يريد أن يرحم عباده؛ لكن العباد هم الذين يحجبون الرحمة عنهم بأفعالهم؛ وإلا فالله يريد أن يرحم عباده ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧].

المتن: أو لا يرحم حتى تجعله الواسطة يرحم.

الشيخ: يعني تؤثر عليه.

المتن: أو لا يكفي وحده.

الشيخ: أو أنه بحاجه إلى من يعينه؛ فيتخذون الشركاء يعينون الله عز وجل على قضاء حوائج العباد. (٢٦:٤٦)

المتن: أو لا يفعل ما يريده العبد حتى يشفع عنده بالواسطة كما يشفع المخلوق عند المخلوق.

الشيخ: نعم؛ كما يشفع الوزراء والوسائط عند الملوك أو عند الأغنياء أو عند من عندهم حوائج الناس؛ ولهذا قال جل وعلا ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء: ٨٥]، وقال النبي ﷺ «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا»، فالشفاعه عند الخلق في حوائج الناس هذه محموده وفيها أجر.

المتن: كما يشفع المخلوق عند المخلوق فيحتاج أن يقبل شفاعته لحاجته إلى الشافع

الشيخ: المخلوق يُشَفِّع الشافع في صاحب الحاجه، إما لأنه محتاج إليه و... ويكون كاتبًا عنده، أو وزيرًا، عنده، ولو لم يجبه يمكن ينفر ولا يخدم الملك، أو الرئيس، أو من عنده ولاية، وإذا ما قبل شفاعته ما يعينه على ما هو فيه من المسؤولية، فهو بحاجه إلى من يعينه، والله ليس بحاجه إلى من يعينهسبحانه وتعالى، قادر على كل شيء، ولو كان ما يرضي بشفاعته، يمكن المسؤول ما يرضي بشفاعه الشافع ولكن يقبلها غصب، يقبلها لأجل يتألف الشافع وينتفع من ورائه لإعانته ووزارته.

المتن: فيحتاج أن يقبل شفاعته لحاجته إلى الشافع وانتفاعه به وتكثره به من القلة.

الشيخ: والله غني عن هذا كله ما بحاجة إلى العباد.

المتن: وتكثره من القلة وتعززه به من الذلة.

الشيخ: هذا كله رد على الذين يقيسون الشفاعة عند الله بالشفاعة عند المخلوقين.

المتن :أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسأل الواسطة أن ترفع تلك الحاجات إليه.

الشيخ: وهو يقول جل وعلا: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر: ٦٠] ما قال ادعوني بواسطه فلان ولا علان، قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ يستدلون بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، يفسرون الوسيلة بأنها الواسطة، وهذا تفسير باطل، الوسيلة هي العمل الصالح، ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ أي ابتغوا إليه العمل الذي يقربكم منه سبحانه وتعالى.[٥٦:٢٩]

المتن: أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسأل تلك الواسطه أن ترفع تلك الحاجات إليه كما هو حال ملوك الدنيا وهذا أصل شرك الخلق.

الشيخ: هذه الأمور هي سبب شرك هؤلاء، وهي منتفيه في حق الله سبحانه وتعالى.

المتن: أو يظنوا أنه لا يسمع دعائهم لبعده عنهم حتى ترفع الوسائط إليه ذلك

الشيخ : لا يسمع عباده ودعائهم حتى يبلغه الشفيع؛ الله سميع سبحانه وتعالى قريب مجيب، لا يخفى عليه شيء، يسمع حوائج عباده، ولذلك يقول من يدعوني فاستجيب له؟ دليل على أنه يسمع الدعاء سبحانه وتعالى، «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» فهذا دليل على أن الله يسمع الدعاء والاستغفار وهو السميع العليم.

المتن: أو يظن أن لمخلوق عليه حقا فهو يُقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه.

الشيخ: أو يظن أن هذا الولي أو هذا الصالح له حق علي الله؛ فهو يريد منه أن يتوسط له عند الله؛ فالله يقبل هذا لأن هذا الواسطه له حق على الله؛ مثل ما عند ملوك الدنيا، وهذا أيضا باطل، نعم «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوه وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً»، فهذا حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ما هو بحقهم على الله شيئ يجب على الله لهم؛ وإنما هو شيء الله تفضل به وجعله على نفسه تفضلا وتكرما لا أحد أوجبه على الله حتى يطالب الله بحقه.

المتن: أو يظن أن للمخلوق عليه حقا فهو يُقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه ويتوسل إليه ذلك المخلوق

الشيخ: لا يقول أسألك بحق فلان، ما للمخلوق حق علي الله سبحانه وتعالى.

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا عمل لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع

فالعباد ليس لهم حق أوجبوه على الله؛ مثل ما يوجب المخلوق لمخلوق؛ إنما هو حق أوجبه الله على نفسه تفضل به ووعد به سبحانه وهو لا يخلف وعده.

المتن: فهو يقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه، ويتوسل إليه بذلك المخلوق كما يتوسل الناس إلي الأكابر والملوك بمن يعز عليهم ولا يمكنهم مخالفته.

الشيخ: أو جاه المخلوق، بجاه فلان، بجاه مُحَمَّد، هذا كله باطل لا يُدعى الله بجاه أحد وإن كان قد يكون للمخلوق جاه، ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ۝٦٩﴾ [الأحزاب: ٦٩]

وجيها عند الله مثل عيسي عليه السلام، وموسى، ومُحَمَّد ﷺ؛ لكن هذه الوجاهه ما تُجيز أنك تدعو الله بها، بجاه فلان عندك كما في عيسي ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران: ٤٥] وموسى ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾

المتن: وكل هذا تَنقُّص للربوبية، وهضم لحقها ولو لم يكن فيه إلا نقص محبه الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه من قلب المشرك.

الشيخ: فإذا دعا الأولياء والصالحين فإنها تنقص محبه الله في قلبه، ويتنقص صفات الله عز وجل كلها.

المتن: بسبب قِسمة ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به، فينقص أو يضعف أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة والخوف والرجاء بسبب صرف أكثره أو بعضه إلى من عبده من دونه.

الشيخ: دعاء المخلوقين والأولياء والصالحين والاستغاثه بهم فيما لا يقدرون عليه هذا يسلب كل حقوق الله سبحانه وتعالى على عباده، أو يُنقِّصُها، وأيضا لو فرضنا أن فلان له حق تفضل الله به عليه فليس من حقك أن تدعوا الله بحق فلان، أو تقول بعمل فلان، مالك إلا عملك، ما ينفعك عمل فلان ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ﴾ [البقرة: ١٣٤]

أنت لا تسأل الله بصلاح فلان أو بعمل فلان؛ لكن اسأل الله بعملك أنت، توسل إلى الله بعملك أنت، أما أعمال الناس فهي لهم.

المتن: فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه، والتنقص لازم له ضرورة شاء المشرك أم أبي، ولهذا اقتضى حمده سبحانه وكمال ربوبيته ألا يغفره.

الشيخ: لا يغفر الشرك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[النساء: ٤٨] لأن الشرك تجتمع فيه كل المحاذير، من تنقص الله، من تمثيل المخلوق بالخالق وتسوية المخلوق بالخالق، من وضع العباده في غير موضعها وهذا ظلم كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣] إلى غير ذلك.

المتن: فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه، والتنقص لازم له ضروره شاء المشرك أم أبي، ولهذا اقتضى حمده سبحانه وكمال ربوبيته ألا يغفره، وأن يخلد صاحبه في العذاب الأليم ويجعله أشقى البريه؛ فلا تجد مشرك قط إلا تجده متنقص للرب سبحانه.

الشيخ: الشرك لا يغفره الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[النساء: ١١٦] وأما ما كان دون الشرك من المعاصي فإنه تحت مشيئه الله إن شاء غفره وإن شاء عذبه ولهذا قال: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[النساء: ١١٦] ما دون الشرك﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ سبحانه وتعالى؛ وكون الشرك لا يغفره الله هذا دليل على أنه أعظم الذنوب وأعظم ما نهى الله عنه الشرك.

المتن: وأن يخلد صاحبه في العذاب الأليم.

الشيخ: نعم فالمشرك قد حرم الله عليه الجنه ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢] فهو يجمع محاذير والعياذ بالله:

- أنه لا يغفره الله لصاحبه مع أن الله غفور رحيم.
- أنه يخلد صاحبه في النار.

أما الموحد فإنه إن دخل النار بذنبه أو ذنوبه فإنه لا يخلد فيها بل يُخرج منها ويدخل الجنه كما صحت بذلك الأحاديث.

المتن: وأن يُخلد صاحبه في العذاب الأليم ويجعله أشقى البريه؛ فلا تجد مشركًا قط إلا وهو متنقص لله وإن زعم أنه يعظمه بذلك.

الشيخ: ماهي المسألة بمسأله الظن؛المسألة الحقيقة؛ فالمشرك يتنقص الله عز وجل وإن زعم أنه يعظمه يقول الله عظيم وأنا محتاج إلى أن اتخذ واسطه عنده لعظمته سبحانه وتعالى مثل الملوك الكبار والسلاطين؛ لعظمتهم يلجأ إلى الوسائط التي تتصل بهم؛ الله ليس كذلك هو عظيم وأكبر من كل شيء ولكنه قريب مجيب سبحانه وتعالى.

المتن: كما أنك لا تجد مبتدعًا إلا وهو متنقص للرسول ﷺ .

الشيخ: فالشرك تنقص لله، والبدعه تنقص للرسول ﷺ أنه مابلغ؛ الرسول بلغ البلاغ المبين وما ترك شيئًا يقرب العباد إلى الله إلا بينه، ولا شيئًا يبعد العباد عن الله إلا بينه وحذر منه، فالمبتدع الذي يُحدث عباده ما عليها دليل من كتاب الله وسنه رسوله؛ يزعم أن الرسول ﷺ مقصر مابين هذا للناس؛ فهذا فيه اتهام للرسول ﷺ لأنه ما بلغ هذا الدين.

المتن: كما أنك لا تجد مبتدعا إلاو هو منتقص للرسول ﷺ وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعه.

الشيخ: إي نعم وإن زعم أنه معظم للرسول بتلك البدعه التي اخترعها فهو متنقص للرسول وأنه لم يبلغ البلاغ المبين؛ وأن هناك أشياء لم يبلغ عنها ولم يأمر بها فهو يستدركها على الرسول ﷺ.

المتن : كما أنك لا تجد مبتدعا إلا وهو متنقص للرسول وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعه.

الشيخ: هم الآن يعظمون الرسول؛ المبتدعة يعظمون الرسول وقد يغلون فيه وهم في الحقيقه متنقصون له ومتهمون له بأنه لم يبلغ كل الدين وأنه بحاجه إلى من يُكمل ما قصَّر فيه الرسول ﷺ.

المتن: فإنه يزعم أنها خير من السنة وأولى بالصواب.

الشيخ: إن البدعه خير من السنة نسأل الله العافيه، وأن السنة ما تكفي فهو يجعل بجانبها البدع.

المتن: أو يزعم أنها هي السنة إن كان جاهلا مقلدا.

الشيخ: أو يزعم أن البدعة هي السنة؛ إن كان جاهلا ما يعرف ما هي السنة، أو مقلدًا لغيره فهو يتخذ البدعة أغلى عليه من السنة؛ ويحافظ عليها ولا يحافظ على السنه، ولا تجتمع البدعة والسنة إلا وتخرج إحداهما الأخرى؛ ما تجتمع سنة وبدعة إلا وتُخرج إحداهما الأخرى؛ ولذلك تجد المبتدعة أكثر ما يكرهون السنة وإذا أمرتهم بالسنن غضبوا عليك لأنهم يكرهون السنن والعياذ بالله؛ الشيطان يُبغِّض إليهم السنن ويحبب إليهم البدع.

المتن؛ : فإنه يزعم أنها خير من السنه وأولى بالصواب؛ أو يزعم أنها هي السنة إن كان جاهلا مقلدا، وإن كان مستبصرا في بدعته فهو مشاق لله ورسوله.

الشيخ: نعم والبدعة فيها مشاقه لله ولرسوله، ومحادة لله ولرسوله لأنه يشرع شيئا لم يشرعه الله ولا رسوله، هذه محادة لله ولرسوله ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ

﴿ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] المشرع هو الله والرسول مبلغ عن الله؛ التشريع حق لله ما لأحد حق أن يشرع.

المتن: فالمتنقصون المنقوصون عند الله ورسوله وأوليائه هم أهل الشرك والبدعة.

الشيخ: ما في شك أنهم هم الناقصون وهم المبغوضون والممقوتون عند الله وعند خلقه.

المتن؛ ولا سيما من بني دينه على أن كلام الله ورسوله أدله لفظيه لا تفيد اليقين

الشيخ: كما عليه علماء الكلام؛ علماء المنطق اللي يسمون أدله المنطق وعلم الكلام يقينيه، براهين، يسمون الكتاب والسنة أدلة سمعية تفيد الظن ما تفيد اليقين؛ هذه بدعة أشد من بدعة المتعبدين.

المتن: ولا سيما من بني دينه على أن كلام الله ورسوله أدله لفظيه لا تفيد اليقين ولا تغني من اليقين والعلم شيئا،

الشيخ: وإنما هذا في علم الكلام وقواعد المنطق فهذا يفيد اليقين والبرهان ولذلك بنوا عقائدهم على علم الكلام وعلى علم المنطق، ولا تجد في عقائدهم المكتوبة ولا آيه واحدة ولا حديث واحد؛ كلها جدل وكلها مقدمات ونتائج؛ إقرأوا في كتبهم ما فيها استدلال بالكتاب والسنة أبدًا لأنهم يقولون هذه ظنية ما تفيد شيئ.

المتن : لا سيما من بني دينه على أن كلام الله ورسوله أدلة لفظية لا تفيد اليقين ولا تغني عن اليقين والعلم شيئا فيالله للمسلمين

الشيخ : استغاثه؛ ابن القيم يستغيث بالله من هذا العمل.

المتن: فيالله للمسلمين أي شيء فات هذا من التنقص.

الشيخ: أي شيء أعظم من هذا التنقص وهم يزعمون أنه تعظيم لله عز وجل.أ.هـ